المخيال الصحراوي في القصة القصيرة العربية المعاصرة، "القفص" لإبراهيم الكوني أنموذجا*

Exploring the Desert Imagination in Ibrahim Al-Koni's " El Qafes": A Study of Contemporary Arabic Short Stories

فضية بوديوجة

جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية (الجزائر)/ مخبر التأويل وتحليل الخطاب

fedia.boudioudja@univ-bejaia.dz

ملخص:

يُعدُّ إبراهيم الكُوني من الأدباء القلائل الذين خاضوا غمار الكتابة عن الصحراء في سردياتهم، فاتخذها تيمة فريدة، ورسالة إنسانية نبيلة وفلسفة عميقة، تغوص في مجاهيل النفس والوجود، في رحلة صوفية وجودية بحثا عن الفردوس المفقود.

نحاول في هذا المقال أن نستشف المخيال الصحراوي في أدب إبراهيم الكُوني من خلال مجموعته القصصية "القفص"، التي يرسم فيها الصحراء الأسطورة العجيبة والمدهشة في غاية من الإيجاز والكثافة.

الكلمات المفاتيح: المخيال الصحراوي؛ الفردوس؛ الأسطورة؛ القفص؛ إبراهيم الكُوني.

Abstract:

The present research paper aims to explore the desert imagination prevalent in Ibrahim Al-Koni's literary works, with a specific emphasis on his collection of short stories titled "The Cage El-Qafes." Al-Koni is recognized as a notable writer who uniquely engages with the desert as a distinctive theme, conveying a profound human message and delving into existential philosophy. This article sheds light on the unknown aspects of the soul and existence, portraying the desert as a mystical and existential journey in pursuit of a lost paradise .Through a concise and intense exploration of "The Cage El-Qafes," the narrative unfolds the desert as a captivating and remarkable myth.

Keywords: desert imagination; paradise; legend; cage; Ibrahim Al-Koni.

---

*

تاريخ استلام البحث: 2024/01/15	تاريخ قبول البحث: 06/ 2024/04	تاريخ النشر:2024/05/13

مقدمة:

اتجهت السرديات العربية منذ بداياتها الأولى نحو التطور والتبلور والتجدد، وقطعت أشواطا واسعة في سعيها، فعلى الرغم من كون كلٍّ من القصة والرواية جنسا أدبيا غربي الأصل والمنبت، إلا أن السرديات العربية اكتسبت خصوصيتها وهيَّأت لها تربة عربية مدت فيها جذورها الإبداعية، وصاغت قالبا متميزا بها، فتبوأت مكانة هامة متجاوزة كل أشكال النمطية والتقليد الأعمى للغرب شكلا ومضمونا، وما ساعدها هو خاصية المرونة التي تميزها، فانفتحت على أشكال وأجناس عِدة، وامتاحت من الموروث، وأضحت بذلك الفن الذي يعكس عمق الانتماء إلى الخصوصية القومية العربية، والذي نلمسه بصدق في **كتابة الصحراء**، التي اتخذت من هذا الفضاء المدهش والمتفرِّد بخصوصياته التراثية والطبيعية والإنسانية موضوعا لها، وهاجسا جميلا يجمع بين الواقعي والتخييلي، مستعينة بآليات التجريب إما من حيث اللغة أو البناء، فأضحت تشقُّ طريقها نحو التَّجدُّد والتَّفرُّد، تصوغ خصوصيتها العربية بالاستقاء من الموروث بأشكاله المختلفة كالعجائبي والصوفي والأسطوري والشَّعبي.

فإلى أي مدى حققت كتابة الصحراء هذه الخصوصية؟، وكيف قدمت مجتمع صحراء الطوارق من خلال الجمع بين الواقعي والتخييلي؟، ماهي مكونات المخيال الصحراوي؟، وما الرؤى التي تضمنتها سرديات الصحراء لإبراهيم الكوني؟.

1.مفهوم الخيال:

1.1لغة:وردت مادة (خ ي ل) في معاجم اللغة العربية في عدة معان، ففي لسان العرب **"تخيل الشيء له: تشبه... والخيال والخيالة:الشخص والطَّيف... الخيال: خشبة توضع فيلقى عليها الثوب للغنم إذا رآها ظن أنه إنسان... وخيل إليه أنه كذا على ما لم يسم فاعله: من التخييل والوهم."**[1]،وجاء في أساس البلاغة للزمخشري **"أخال عليه: اشتبه وأشكل، وخيل إليه أنه دابَّة فإذا هو إنسان، خيل علينا فلان: أدخل علينا التهمة."**[2]،وبالتالي تضمنت لفظة "خيل" معنى الشبه والتوهم وكذا التهمة.

أما في المعجم الوسيط فنجده تجاوز المعاني القديمة، إذ يرى أن **"الخيال إحدى قوى العقل التي يتخيل بها الأشياء... والمخيلة: القوة التي تخيل الأشياء وتصورها، وهي مرآة العقل"**[3]. فالفعل"خيل" يُحيل إلى عدة معان منها المشابهة والطيف والظن والوهم، والتهمة، وهي معان قريبة إلى المعنى الحديث للفظة الخيال، وبشيء من التمعن ندرك أن مادة "خيل" أفادت أيضا معنى الوهم، والوهم هو نظير الخيال، فأفادت هذه المادة معان حسية وبصرية وأخرى معنوية قلبية، لكننا لا نعثر فيها على مدلول لـ "ملكة الخيال".

تقابل كلمة "خيال" في المعاجم الأجنبية imagination، ومتخيل بـ imaginaire، وأصلها في اللاتينية imaginarius التي تحيل إلى دلالة: خيالي ومغلوط، وكلمة صورة image هي إحدى مشتقات الفعل "خيل" في اللغات الأجنبية فيبدو أن ثمة علاقة وثيقة بين الكلمتين، وهذا يحيل إلى **"أن أي مفهوم للصورة الشعرية لا يمكن أن يقوم إلا على أساس مكين من مفهوم متماسك للخيال الشعري نفسه، فالصورة هي أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامة التي يمارس فيها، ومن خلالها فعاليته ونشاطه."**[4]

أما عن كلمة "تخيل" فهي مرادفة للتوهم والتمثل، فنقول **"تخيلته فتخيل لي... تصورته فتصور، وتوهم الشيء تخيله وتمثله، سواء أكان في الوجود أم لم يكن، فالكلمة بالمعنى السابق تدل على عملية التأليف بين الصور وإعادة تشكيلها"**[5]

2.1 اصطلاحا: تعددت الحقول المعرفية التي وظفت الخيال وعرفته حسب مرجعياتها، لذلك نجد "للخيال" مفاهيم خاصة بعلم النفس وأخرى بعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم المعرفة والنقد الأدبي.

وقد ربط فلاسفة اليونان القدامى الخيال بفساد العقل ورأى سقراط أنه **"نوع من الجنون العلوي"**[6] كما اعتبر أفلاطون الإلهام الشعري ضربا **"من الجنون تولّده ربّات الشعر أو آلهته في نفس الشاعر."**[7]

أما أرسطو فقد تجاوز نظرية المحاكاة الأفلاطونية وأسّس لنظرية الخيال التي كان لها تأثير كبير على الفكر الإنساني المعاصر، إذ ربط الخيال بالإحساس كما ربطه بالفكر، وقد اعتبر الخيال **"طاقة محرِّكة وفعّالة وهو بين العقل والإحساس."**[8] فالخيال مدعاة إلى إعمال الفكر وتحفيز طاقاته فيدفعه إلى الإبداع والابتكار، كما عرّف أيضا **"التخيل بأنه مصور أو رسام يرسم في النفس أشباه الأشياء المدركة بالحس."**[9] فهو لا يعكس الواقع كما هو إنما يصور شبيها له، وأيضا **"يفرق أرسطو بين الإحساس والتخيل وهي أولا أن الإحساس هو إما قوة أو فعل، وعلى العكس ففي الخيال أو (الصور الخيالية) قد توجد الصور في غياب القوة أو الفعل الحسيين، وثانيا فإن الإحساس حاضر دائما عكس التخيل، كما أن الإحساسات صادقة وأما الصور الخيالية ففي معظم الأحيان كاذبة."**[10] فالإدراك الحسي يوصل إلى الخيال، والخيال هو قوة محركة للأفكار، لكن الفرق أن الإحساس صادق دائما لأنه يعتمد على الحواس، أما الخيال فقد يكون صادقا وقد يكون مجرَّد وهمٍ كاذب.

هاجم الفلاسفة العقلانيون مفهوم الخيال، وعدُّوه ضربا من الوهم و الجنون، وقد اتبعت المدرسة الكلاسيكية نهج الثقافة اليونانية وهاجمت الخيال وعدَّته ضربا من ضروب الجنون، وشرّا على العقل والمعرفة، وتم الحكم عليه بأنه **"ملكة فوضوية لا تخضع لسلطان العقل."**[11] وكان من نتائج هذا الحكم القاسي طغيان العقل على العاطفة والخيال في الأدب، ومبالغة الشاعر في العناية بالشكل والصنعة

اللفظية، والزخرفة الفنية، وقد ردَّت المدرسة الرومانسية على الكلاسيكية بأن جعلت من الخيال أساس العمل الأدبي وجوهره، قارن "شيلي" بين العقل والخيال قائلا: **"إن العقل يحترم الفروق بين الأشياء، بينما يحترم الخيال مواضع الشبه بينهما، إن العقل بالنسبة للخيال بمثابة الآلة بالنسبة للصانع، والجسد بالنسبة للروح."**[12] لقد أولى الشعراء و النقاد الرومانسيون الخيال اهتماما كبيرا، مما أدَّى إلى ظهور دراسات نقدية عديدة ذات أهمية كبيرة لأنها غيرت في كثير من المفاهيم النقدية وأحدثت نقلة نوعية وثورة مفاهيم سابقة.

2. كتابة الصحراء:

تمتاز البنى السردية بامتلاك طاقات فنية هائلة لطرح أزمات الواقع، والصراعات الأيديولوجية والتعبير عن التحولات الحضارية والاجتماعية في العالم، فقد أصبحت الأعمال السردية بوصفها شكلا ثقافيا، الأقدر على تقديم الصوت الجماعي، ومع نكسة 1967 تولدت رؤية جديدة في العالم العربي " **هذه الرؤية التي أنتجت نماذج من التحرر الإبداعي التي تسعى إلى إزاحة المركزية الأوروبية الإبداعية، وتحطيم القالب المفروض... ومع تدافع موجات التحرر الإبداعي وتزايد اختراق كتاب الهوامش (أفريقيا، وأمريكا اللاتينية، والهند، وأستراليا) للفضاء الثقافي للمركز الأوروبي- الأمريكي، والإلحاح على الحضور فيه بتقديم نماذج إبداعية لا تخضع لمبدأ التشابه التقليدي، بل تستقطب المركزية الأوروبية الأمريكية لتقرأها متنا لا هامشا بكل الحواس."**[13]

عُدَّ فضاء المدينة الفضاء الأمثل للقصة والرواية، اتخذ إطارا تصب فيه الأحداث والمادة الحكائية، عالم مليء بالمتناقضات والزخم الإنساني، والفوضى والعبث والأزمات، تعيش فيه فئات مختلفة من البشر، أوضاعا مأزومة من التمزق والضياع والألم، في واقع يسير بوتيرة مرعبة نحو تغييرات غير معلومة العواقب، مما أحدث هُوَّة عميقة بين الإنسان العربي وذاته المهشّمة، وبينه وبين مجتمعه الذي يعيش فيه غريبا، وبينه وبين هوِّيته التي أصابها التّشوه والانسلاخ، وهذا ما استدعى بعض الأدباء إلى اتخاذ عوالم جديدة ومختلفة لم يلحقها التهجين، فوقع الاختيار على فضاء الصحراء الذي ظل محافظا على صفائه ونقائه وأصالة هوّيته الثقافية واللغوية والدينية.

فثمة ضرورة ملحة للبحث عن الخصوصية، وفي ذات الوقت رفض الخطاب الإبداعي الغربي، بإدراك كبير من الكتاب لما ستضيفه "الصحراء" من قيمة فنية عالية لأعمالهم، خاصة وأن الصحراء تمثل للعربي أبعادا شتى، منها **الدينية** من خلال ذكرها في الكتب السماوية، **والجغرافية** بمساحتها الشاسعة، **والأدبية** بارتباطها بالشعر الجاهلي **والاجتماعية** لأنها الموطن الأول للعربي **وتاريخية** كونها ارتبطت بأحداث تاريخية على مدى أزمنة وحقب، **وسياسية** إذ كانت محط أطماع الغرب الاستعماري ... والصحراء تغتني بموروث إنساني شفوي من عادات وعقائد وتقاليد وأشعار وأغان،

وأساطير وخرافات وحكايات، يجد المبدعون فيها مادة دسمة يستثمرونها في متونهم، يعبُّون من ينابيعها التي لا تنضب، ويستمدون منها طاقات تعبيرية هائلة، محلِّقين بأجنحة من خيال في فضائها الرّحب، مما يمكنهم من ابتكار أساليب وآليات جديدة للكتابة.

وقد ظهرت الصحراء في أعمال بعض الكتّاب بصورة مقتضبة، أو قدمت رمزا للعطش والجفاف والقسوة والعراء، والخوف والمعاناة ورحلة الحياة الشاقة، منها رواية **"البحث عن وليد مسعود"**[14] لجبرا إبراهيم جبرا، إذ ركّزت على البطل في رحلة بحثه عن الحرية دون أن "تعكس روح الصحراء العراقية ولم تعن بتصويرها كمكان، فالمكان المحوري أو الأمكنة المحورية كانت في بغداد والمنازل والبيوت في المدن الأخرى."(15) أما في رواية **"رجال في الشمس"**[16] لغسان كنفاني فقد جعل الصحراء فضاء للرواية لكنه فضاءٌ معادٍ للرّجال الفلسطينيين، كانت نهايتهم فيها مأساوية بسبب القيظ الشديد والعطش، فالصحراء تحيل بذلك إلى رمز الموت، وهي النهاية نفسها لبطل رواية **"براري الحمى"**[17] للروائي الأردني إبراهيم نصر الله، ولم تظهر الصحراء في رواية الطيب صالح "**موسم الهجرة إلى الشمال**" إلا في بعض المقاطع الوصفية التي تشير إلى القسوة والصبر، أما رواية **"ريح الجنوب"**[18] للروائي عبد الحميد بن هدوقة، لم تظهر فيها الصحراء إلا في الرياح الآتية من الجنوب ـرياح القبلي الساخنةـ والتي ترمز إلى التغيير.

معظمها أشارت إلى عالم يقع هامشا للمركز، فتم إهماله ونسيانه إلا أنه يوجد إقبال من بعض الكتّاب الذين اتخذوا الصحراء فضاء وموضوعا مركزيا لسردياتهم، وجعلوها تيمة مميزة لأعمالهم، وقضية فنية، وقد وجدوا فيها زخما تخييليا وعالما يفيض بالنقاء والدّهشة، جعلوا رمالها فِراشا للأحلام، وواحاتها ارتواء للعطش وفي صمتها حديث للوجد الصوفي، وفي الارتحال اللامتناهي سفرا شهيا نحو الفردوس المفقود، أمثال **لحبيب السايح وحاج أحمد الصديق** في الجزائر، وأكثر من أبدع في كتابة الصحراء عربيا" **عبد الرحمان منيف** الذي تحيز لقيم الصحراء، وللهوية العربية الأصيلة، كذلك الليبي **إبراهيم الكوني** الذي تفوّق في التعريف بصحراء إفريقيا للعالم أجمع، لأنه سكن الصحراء وسكنته، فهِم رسالتها وحملها في قلبه وترجمها للكون بأسره فلسفة عميقة وأصيلة، وآمن بأنها جنة آدم فوق الأرض، وفردوسه المفقود، وكسر بذلك القاعدة التي تقول أن المدينة هي الفضاء الأوحد والأمثل للراوية والقصة معا، وأثبت أن الإبداع يتواجد في أي فضاء فيه الإنسان، فعبر بقلمه عن "الطوارق" وعاداتهم و تقاليدهم ومقاومتهم الشاقة لزحف المدينة والمدنية، يعيد الإنسان الطارقي إلى ارتحاله الأبدي في تماس مع الطبيعة والفطرة، والروح والكون في أنقى حالاته، يسري ليلا بجسده تحت سماوات الرحمان ويعرج بروحه في ملكوت الله، في تسام عن الخطايا والأنانية والمادية والجحيم الدنيوي، فالصحراء تمثل

العودة إلى الأصل الأصيل والجوهر النقي والعمق النبيل في الإنسان، إنها تدعو آدم إلى العودة من ضلاله وتيهه إلى سبل الخير، وحط الرحال في واحة الحب والسلام والجمال.

تضمنت الأعمال السردية لإبراهيم الكوني رؤيته **"للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسة السائدة في المجتمع الصحراوي من خلال شبكة العلاقات القائمة في ذلك المجتمع الذي أصبحت له هوية متميزة خاصة ذات جذور عميقة في تاريخ الصحراء الكبرى"**[19]

3. المخيال الصحراوي في قصة القفص لإبراهيم الكُوني

1.3الصحراء: غبطة البدايات/ غبطة الفردوس:

الصحراء هي فردوس الطوارق، والجنة الأبدية، إنها غبطة البدايات، والماضي الساحر، والتاريخ العتيق العبق بالأساطير والحكايات، المتلفع بالدهشة والمغامرة، يعيش فيها أبناؤها، ويسرحون في أطرافها بحثا عنها فيها، في رحابة الفضاء، وفي أشواق الروح، ومتاهات النفس، إنها يوتوبيا أولئك الذين أتعبتهم الحياة، وأنهكتهم بضرباتها المتتالية والموجعة، هي ملجأ الأرواح العطشى إلى السلام والسكينة والنقاء والصفاء، هي مقصد الهاربين من الفوضى والعبث والأنانية والطمع والظلم، اعتقد سكان الصحراء منذ القديم من العرب والطوارق بوجود هذه الجنة حَقيقةً، وأن أجدادهم حلت عليهم النقمة فحرموا منها وقد كانت أجمل وأبدع ما خلق الله على الأرض، وزعم الأوائل أن أهل الخفاء استوطنوها وحاربوا كل من سولت له نفسه الاقتراب منها، إما بالضرب، أو الخبل والجنون أو بالقتل، يتجلى اعتقاد أهل الصحراء الجازم بها في أدق تفاصيل حياتهم اليومية، وحتى الطقوس الدينية، يحاولون استعادة ماضي أجدادهم – غبطة الفردوس المفقود- ، يقول مرسيا إلياد عن ذلك بأنها **"تعبير عن خبرة دينية أكثر صميمية وأبعد غورا، تغذيها الذكرى الخيالية لفردوس مفقود، لغبطة سبقت الوضع البشري الراهن، ويلعب هذا السيناريو الأسطوري الطقسي في تجديد العالم دورا هاما إلى أبعد حدود الأهمية في تاريخ البشرية، لأنه إذ يضمن تجديد الكون يمنح الإنسان الأمل باستعادة غبطة البدايات، وتزخر السنة الدائرية برمزية كونية حياتية، وبثنائية أليمة تفاؤلية وتشاؤمية في الوقت نفسه، ذلك أن انقضاء الزمن ينطوي على ابتعاد مطرد عن البدايات، وبالتالي على فقدان الكمال الأولي، فكل ما يمضي يذوي ويضمر وينتهي إلى الهلاك"**[20] ، لكن البدوي الصحراوي لا يستسلم للضياع والتيه، بل كلما ابتعد عن الفطرة وصفاء البدايات، كلما انتابته رغبة جامحة في التخلص من شؤم الدَّنس، وبؤس الحرمان، وتاق إلى استرجاع جنَّته الأبدية وفردوسه المفقود، لذلك تجده يقدِّس كل ما يحيل إليها أو يذكِّره بها، في قصة **"الترفاس"** يسقط إبراهيم الكوني هالة من القداسة والرمزية على هذه الثمرة التي تظهر من بطن الأرض كالمعجزة، فاكهة من الجنة نتيجة لقاء السماء بالأرض، رحمةٌ تتجلى ونفحة من نفحات الفردوس، يقول عن تكوينها: **" تتمدد البذرة في العدم، تلتقط أنفاسا من باطن**

الأرض، في تراب الصحراء أنفاس كثيرة، الباطن مشبع بشذى الزهور الأسطورية، بكل الزهور التي تلاحقت في الأودية والسهول في الربيع عبر آلاف وآلاف السنين، تمتصها بذرة الترفاس وتحتضنها في صدرها البكر الذي بدأ للتو يتكور وينمو ويتمدد، ويبحث لنفسه عن مكان بعيد في باطن الأرض المبللة بدموع السماوات المعطرة بزهور الآلاف من السنين، الأرض الآن ترتجف، الأرض حبلى بالثمرة السحرية، الثمرة الوليدة من تزاوج إشارات السماء ونداءاتها ببكارة الأرض العطشى للحب للماء."[21]، إنها هدية السماء إلى الأرض، لتخفف من قسوة الصحراء، لكن ذنوب وخطايا الإنسان قد تحجب عنه هذه النِّعم فيصيبه الحرمان، وتطيح به اللعنة في دركات الشقاء، فتتحول الصحراء جحيما لا يطاق، يقول الكوني: **" طلع البدر واستدارت الترفاسة السحرية في العراء المكشوف... استمرت تعلن عن نفسها وتنتظر القطاف، أين الرعاة؟ أين الغزلان؟ أين الفئران؟ أين الطيور البرية؟ الصحراء مهجورة، الصحراء مهجورة منذ زمان."**[22]، في "نذر البتول" تحلم "تازيديرت" بقدوم السيل على الصحراء يروي عطشها الذي دام عمرا بأكمله، "تازيديرت" تتوق بشدة إلى رؤيته يجرف أمامه كل شيء، تتوق في حالة من الوجد إلى سماع هديره وهو يتدفق سريعا يجرف في طريقه شقاء الصحراء وقسوتها، تقول لصديقتها التي تحدثها عن العرسان: **" ما فائدة الرجل بدون سيل؟ ما فائدة الأرض بدون مطر؟ السيل وحده يستطيع أن يطفئ الشمس ويقضي على الوحوش الثلاثة ... الرمضاء والعجاج والعطش."**[23]، تقسو الصحراء على أبنائها حين تضن عليهم بالماء، فتنضب الينابيع والأنهار والآبار، ويختفي النبات وفي السماء لا أثر لغمامة أو قطرة مطر، فتضيق على الصحراوي على الرغم من شساعتها، تتحول إل قبر ضيق يضم ضلوعه ويعصر روحه، يشعر فعلا بالشقاء، **" تناولت تازيديرت الزمزمية، وشربت في جشع سال الماء على صدرها، فتذكرت السيول، سالت الدموع على وجنتيها."**[24]، يكشف هذا الموقف عن قسوة الجفاف الذي يصيب الصحراء والناس، حتى أرواحهم تجف من الأمل، لذلك لا غرابة أن "تازيديرت" اعتبرت السيل فردوسها المفقود وأملها المنشود وجنتها التي تتوق إلى دخولها والتنعم ببردها وسلامها، الجنة التي لم ترها إلا في مخيلتها، **" تذكرت أساطير القبيلة حول التّحول الذي تشهده هذه الأرض الرمادية القاسية عندما يرقُّ قلب السماء، وتحن على الصحراء بالسيول، تنفطر الأرض وتنشق الأحجار عن ألف نوع من النبات، تخضر الصحراء في بضعة أيام، وتغط الأودية الجرداء بالأحراش وتتفتح زهور سحرية تصيب حدة رائحتها الرعاة بالدوار، جدتها كثيرا ما تتحدث عن ربيع الحمادة كفردوس مفقود، حرم الله منه أهل الصحراء عقابا لهم على أعمالهم، تغمض عينيها وتتمايل برأسها يمينا ويسارا كالمجذوب عندما تأتي على سيرة الترفاس... تتحسر لأنها لم تولد زمان السيل وتبكي في فراشها خفية حنينا على الفردوس الضائع."**[25]، إن سعي الصحراوي لاستعادة جنته المفقودة في الحقيقة أو في الأحلام محاولة لتجاوز مرارة الواقع وبؤسه وشقائه، وتخفيف من وطأة العطش والضنك

المادي والمعنوي، وتعبير أيضا عن رفض مظاهر الابتعاد عن الفطرة والنقاء، والانسلاخ عن الإنسانية بأسمى معانيها، يرى **سعيد الغانمي** أن " **البدوي يستعيد دون أن يدري جنة أسلافه الأسطوريين في الصحراء القاحلة، وبهذه الاستعادة الوهمية يعود إلى زمن الأوائل وغبطة البدايات التي تعده بالخلود والرخاء والطمأنينة، إن الجنة هي الفردوس الخفي الذي يهبه له الجن والأسلاف الأسطوريون إنقاذا له من وحشة الصحراء وجورها المرير، ولكنها من ناحية أخرى المكافأة الدينية التي يقدمونها له علامة على قبولهم إياه في المشهد العائلي القديم، تهدي أرواح الأسلاف المكنونة في الجن أحفادهم العائدين إلى مشهد القرابة العائلية "جنة" وهمية حلمية وفردوسا مفقودا يعيدهم إلى لحظة البراءة الأصلية في زمن الخلق الأسطوري، وكأن هذه العودة بعث جديد.**"[26]، لذلك يتماس إنسان الصحراء مع الطبيعة حد التماهي، كل شيء فيها ينبض بالحياة، كل ما فيها تدب فيه الروح روح الأسلاف، إنها جنته الأرضية وفردوسه الذي أضاعه ولم يتمكن من استرجاعه، لذلك فالنبات والحيوان والجماد في نظره هي شخوص مثلها مثل الإنسان يفهمها ويستشعرها ويتواصل معها، قد يحبها وقد يرهبها أو يقدسها، فكل ما في الصحراء له رمزية وقداسة ودور جوهري، في قصة القفص والتي تحكي هجرة البدوي لموطنه الصحراء مُكرهًا، عاقبته الجن بالنفي لأنه اعتدى على نواميس الصحراء، بذبح غزال قبيل المغرب، وقتل أفعى دون قطع رأسها، " **بركة عاد إلى صحراء "زلاف" ليتذكر الصحراء، الحريق أيقظ حنينه إلى الفردوس الضائع فغنى المواويل الحزينة عن الوحدة والمنفى وبكى كالطفل بصوت عال**"[27]، وقريبه "ماخامد" وجد نفسه مهددا بترك الصحراء، جاءه الشيخ يبلغه أن " **الخبراء يتوقعون سنوات جدب أسوأ، الصحراء ستعاني من بلاء حتى في ماء الشرب، أنصحك أن تهاجر.**"[28]، يصبح المنفي عن أرضه جسدا بلا روح، يتآكل وجوده الإنساني رويدا رويدا، حنينه وشوقه أبدا إلى الصحراء، لا يسلوها، يقض الشوق مضجعه فيجافيه النوم، ويحل السهاد والحزن، فالصحراء هي السعادة وغيرها الشقاء، الصحراء هي الحرية، وبقية العوالم سجن، يخاطب **ماخامد** خاله **بركة**: " **لا أعرف كيف تنامون تحت هذه السقوف، في الصحراء نادرا ما كنت أنام داخل الخيمة، أنت تعرف كم أحس الآن بالندم... لم أكن أعرف أن افتقاد السماء والنجوم والفضاء مؤلم إلى هذا الحد، لم أستطع أن أنام فكيف تريدني أن آكل العيش؟... ندمت على اللحظات القليلة التي غفلت فيها عن ملاحظة السماء، عن ملاحقة الأفق في الصحراء... في الماضي لم أدر أن النجوم جميلة إلى هذا الحد، وعندما افتقدتها قاسيت كثيرا، كأني فقدت قطعة من قلبي.**"[29]، إن اقتلاع كبد البدوي من جوفه أهون عليه من اقتلاعه من موطنه الصحراء، لذلك أنهى الكوني قصة القفص بخروج "ماخامد" من الغرفة خلسة وقد أخذ معه القفص، إذ حرر منه الطائر، ثم انطلق في الخلاء راكضا نحو الحرية افتقدها، " **في**

الأفق البعيد لاح شبح كالطيف سرعان ما ابتلعته تموجات السراب تحت أشعة الشمس بين قمم النخل، لمع الطائر الفضي."[30]

2.3فلسفة الموت إقبال على الحياة:

يتماهى الطارقي في الصحراء، يسكن عالمها الفسيح وتسكن عقله ووجدانه وجسده، فتذوب روحه فيها، وينبض قلبه بها، ويهيم عقله فيها وجدا وشغفا، لقد تناول الكوني كما يرى **نزيه كسيبي** "**جوهر العلاقة التي تربط الإنسان بالطبيعة الصحراوية وموجوداتها، وعالمها المحكوم بالحتمية والقدر، ويحكم على الشخصية المحورية في العمل بالموت كأضحية تجلب الخصب إلى طبيعة الصحراء القاحلة."**[31]، ف "تازيديرت" في قصة نذر البتول وعدت جدتها أن ترضى بالزواج إذا جاء المطر بالسيل، قامت العجوز بطقوسها عند الضريح أياما وليالي، وجاء السيل، رأته الشابة لأول مرة فتقدمت إليه احتضنها وأخذها في طريقه وهي مستسلمة له في خدر ووجدٍ، قدَّمت نفسها له قربانا وروت عطشها إلى الأبد، في قصة السيل أيضا قدَّم البدوي الأضحية تكفيرا عن خطيئته التي تسببت في حلول اللعنة على الصحراء، اعتصرت السماء بالمطر الغزير وقدم السيل وغمر البدوي جارفا معه كل شيء. الملاحظ أن " **الأبطال يسعون إلى الموت عن رغبة، ولعل ذلك يكمن بالنزوع العميق لدى أفراد القبيلة للالتحام بالمطلق والانعتاق والحرية"**[32]، فالموت الذي يُقبِلون عليه فيه إقبال على الحياة بمعنى مجازي، فالحياة التي كانوا فيها هي موت بالنسبة إليهم، أما الموت الذي يسعون إليه هو الحياة الحقيقية، الحياة الأبدية سبيلهم إليها" **مظاهر طقسية للخلاص، وهي وثيقة الصلة بالرغبة الدفينة في الوصول إلى "واو" أيضا"**[33]، والتي هي في عرف سكان الصحراء الجنة والفردوس، كما أن جل شخصيات المجموعة القصصية "أيتام"، وتكمن وراء تيتمهم قصص مأساوية، كأن للبطولة ثمنها الباهظ، إذ لا تولد إلا من رحم المآسي والفواجع، أو هي إحالة إلى أن الحياة توهب للأبناء بعد أن تسلب من الآباء، فيحمل الأبناء الوصية، والصحراءُ ترعاهم وترشدهم بحكمتها. " تازيديرت" في قصة "نذر البتول" كتمت خاطرا غامضا كشف لها دائما عن معادلة وحشية تقول:" **الحرية هي الصحراء، والصحراء هي الجدب، الموت، إذن الحرية هي الموت"، وكلما انشق قلبها عن الخاطر الغامض تذكرت السيل المنتظر واستولت عليها الرجفة والنشوة، مع الوقت أصبح الخاطر في القلب مثل الوعد الجسيم، سرها."**[34]، توصلت الفتاة إلى فلسفة سيطرت على عقلها ووجدانها وأضحت هاجسا لا يفارقها، تعيش لأجله وتنتظر تحققه، فتماهت مع الصحراء التي تعني الحرية والجدب والموت، اختارت أن تكون قربانا للسيل وللصحراء، لقد بلغت أقصى درجات التوحد مع الطبيعة، فقررت الالتحاق بها في طقس احتفالي بغية الوصول إلى **"واو"** وهذا الطقس الاحتفالي قد يكون بالإخصاء أو الاختفاء في الجبال أو الموت غرقا في البئر

أوالسيل، فالكاتب أراد من الإنسان التوحد مع الصحراء لأن الإنسان جزء من الطبيعة بل هو نفسه الطبيعة، في عرف الصحراء" **البدوي يموت بأحد نقيضين: الجفاف أو السيل.**"[35]

4 طقوس الصحراء معتقداتها ومقدساتها:

للصحراء تاريخها القديم المقدس، تستقي من تعاليمه ورموزه وأساطيره، تتخذه مرجعية أصيلة تركها الأسلاف للأبناء، وصية تحملها الصدور عقيدة راسخة لا تتحول، وموَّالا تغنيه الشفاه كي تسمعه الكائنات الأخرى وتحفظه عبر الأيام.

لقد استثمر إبراهيم الكوني في سردياته كنوز الصحراء الثَّرَّة التي لا تنضب، فجاءت نصوصه فريدة، تمزج بين الواقعي والمتخيل، والمنطقي والأسطوري، بأسلوب سردي شعري يزخر بالرموز لاستحضاره الخرافات والأساطير، وحكايات ألف ليلة وليلة، وأسرار الصحراء بطقوسها ومعتقداتها الغريبة وإشاراتها الغامضة، ولا يمكن اعتبار هذا التوظيف مجرد حشد لمعلومات تاريخية أو أنثروبولوجية، لأن "الكوني" أثّث رواياته ونصوصه بالصحراء ثيمة وأيقونة فريدة، واتخذها رسالة حملها في قلبه وقلمه إلى العالم ليقرأها من خلال عين الفنان الذي كرّس إبداعه للتحذير من التحولات الرهيبة التي تشوه وجه الإنسانية بأسرها، نخرج عن تقاليد السرد المتواضع عليها، ونقل الصحراء إلى مركز السرد، أما الهامش فهو بقية العالم، في خطوة جريئة نحو العودة إلى البدايات الأولى، إلى الإنسان الأول، إلى الصفاء والنقاء والطّهر والسمو الروحي، بعيدا عن قلق العالم الذي يسير منفلتا عن الفطرة السليمة نحو التّشيُّء والانسلاخ.

اهتم المخيال الصحراوي في سرديات الكوني بعلاقة الإنسان بغيره من الكائنات، علاقة تقوم على احترام نواميس الصحراء وأعرافها وتقاليدها الضاربة بجذورها في القدم، وفي حال النسيان أو الاعتداء فإن العقاب يكون شديدا وقاس جدا. ورد في إحدى روايات إبراهيم الكوني أنه " **في الزمان القديم لم تكن الصحراء مسكونة إلا ب (...) الجن هم أهلها الأوائل ثم جاءت قبيلة الإنس،... وجدوا الصحراء آمنة ومسالمة وصالحة للسكن فطاب لهم المقام، تقدموا إلى السكان الأصليين وطلبوا السماح لهم بالإقامة في الفردوس الصحراوي، قبل الجن شرط الالتزام بميثاق.**" يتضمن " **عدم سفك الدماء ولا اصطياد أنثى تحمل جنينا، ولا انتزاع عشبة من جذورها، ولا قطع غصن من شجرة**"[36]فعاش الإنس مع الجن زمنا طويلا في أمن ودِعة وكان بينهم مصاهرة وصلة دم إلا أنه " **عند هبوب القبلي الذي تسبب في الجفاف، وعمّت المجاعة فاصطاد الإنسان أنثى الودان ونزع العشب وأكل الجذور، وكسر أغصان الأشجار، وتشاجر مع الجن...وقتله وأصبح بين الإنس والجن عداوة دامت إلى الأبد وانسحب الجن إلى الظلمات والكهوف، وتركوا الصحراء للإنسان.**"[37]، فحسب

معتقد الصحراء الجن أخوة للإنس بالدم، لكن " **الإنسان هو من خان العهد ونقض الميثاق وكان هو البادئ بالعدوان.**"[38]

في قصة القفص التي تحكي عن البدوي بركة وهو " **من أوائل الرحل الذين هاجروا إلى الواحات، هرب من الظلمات وجاء إلى الواحات بحثا عن الخلاص من الأشباح الماردة التي تطارده في الليالي الظلماء، هؤلاء العمالقة حيّروا العرافين والفقهاء.**"[39] لما علم عرّاف النجع سبب هذه العداوة الشرسة " **تمايل يمينا ويسارا وهو يردد: - لا حول الله، من يصيد الغزال عند الغسق؟ كأنك نزلت من القمر كأنك لم تولد في الصحراء، تقتل أفعى ولا تفصل رأسها، تصطاد الغزلان في الغسق. في الليل قاد المفاوضات مع أهل الخفاء، في الصباح قال لبركة: أمامك طريق واحد للشفاء... المنفى... شرطهم أن تهجر الصحراء إلى الأبد، لن يتساهلوا مع قاتل.**"[40]، تتحول الصحراء جحيما حقيقيا إذا خالف الإنسان قوانينها واعتدى على حرماتها، ودنس قدسيتها " **من يستهتر بقوانين الصحراء لا بد أن يدفع الثمن قاسيا، المنفى أرخص ثمن.**"[41]، لذلك حرص العارفون بخباياها على حفظ وصايا الأسلاف وتناقلها بين الأجيال، تميمة تحميهم من الجحيم الدنيوي، الذي لا يزول إلا بتقديم النذور والقرابين قراءة التعاويذ والتمرغ على الأضرحة، أياما وليالي أو بسفك الدماء، في قصة السيل ارتكب البدوي الخطيئة مع فتاة، وقطعا وعدا بدفع مهرها لأبيه، لكنه عجز عن الوفاء به " **وشاء أن يتراجع المطر عن الصحراء منذ ذلك العام بالضبط الذي تلا الوعد المشئوم، واستمر لسبع سنوات متتالية عرفت في تاريخ الصحراء الكبرى فيما بعد ب "أعوام الزمة" (الأزمة) غضب الله وأشاح بوجهه عن الصحراء، وانقشع السحاب وهاجر المطر... لم يعلم حتى الحكماء أن سر اللعنة كان في لقاء آدم وحواء في قعر الوادي البكر.**"[42]، أدرك البدوي متأخرا أنه دنّس الصحراء بفعلته فظل هائما على وجهه يلاحقه القحط والفقر والضنك أينما حل وارتحل، "**تمسح بقبور ما قبل التاريخ وطلب النجاة من أضرحة الأولياء المنتشرة في الصحراء.**"[43]، لكن دون جدوى، إلى أن التقى بالعراف الزنجي الذي يملك " **تعاويذ المجوس الشيطانية التي دأب سحرة "كانو" على استخدامها منذ قديم الزمان، وما إن أخبره البدوي بقصته حتى ضرب كفا بكف وقال: ... ما أغباكم أهل الصحراء وما أجهل فقهاءكم، كيف يستقيم أمر كهذا دون قرابين؟"، قال العراف: اذبح التيس،... نحر التيس، لوثه الزنجي بدمه، وقرأ تعاويذه الوثنية بلغة الهوسا، ثم أشعل النار وأكل لحم التيس الغث مشويا.**"[44]، فتحت السماء أبوابها ودرت على الأرض ماءا منهمرا، امتلأت الينابيع وفاضت الوديان، وجاء السيل يأخذ معه كل ما يعترض طريقه،" **أما البدوي... جرفه السيل مع معزاته الوحيدة الباقية.**"[45]، لم تكتف الصحراء بنحر الذبيحة تكفيرا عن الذنب، إنما عملت على محو مصدرها المتمثل في آدم الذي يقع في شراك الجهل والنسيان.

1.4النذور والتمائم والأضرحة:

يتواصل إنسان الصحراء مع قوى الغيب للحصول على مراده عن طريق النّذور والتّمائم والتّعاويذ وزيارة أضرحة وقبور الأوّلين، في قصة نذر البتول زارت الجدة ضريح **"أدبني"** تتوسله المطر والسيل حتى تفي حفيدتها بالوعد وترضى الزواج، كما لجأت "تافاوت" في قصة النبوءة إلى الساحرة التباوية المعروفة باستخدامها التمائم الوثنية التي اُشتهر بها السحرة الزنوج في "كانو"، وطلبت منها قراءة المستقبل، لا تكاد تخلو قصة من طقوس السحر والشعوذة والنذور والتقرب من عالم الخفاء، في إيمان راسخ لا يخالجه شك، إلى درجة أنه لا أحد يجرؤ على الخروج من خبائه دون أن يضع على عنقه تميمة نقش عليها مثلث **الإلهة تانيت**، لتحميه من الأعداء، وقد يكون الحرز مكونا من ثلاث قطع **" الأولى تساعد في ترويض الجن، والثانية خاصة بإحباط مكائد الإنس، أما الثالثة فهي لحماية العقل من الخبل وهو مرض شائع في الصحراء."**[46]

يكشف الكوني في سردياته عن طبائع البشر التي توصلهم إلى الهاوية، فتخرج الأمور عن السيطرة، ليدفعوا في النهاية ثمنا باهظا، يتلقون في رحلة الشقاء دروس الصحراء وتعاليم الأجداد، يفكون طلاسم ورموز غابت عنهم ليسلموا في الأخير بحكمة الصحراء البالغة التي ما بعدها حكمة، بعد رحلات من العذاب تحيل إلى التطهر من الدنس والرجس الذي قد يكون سببه اعتداء على مقدس، أو خيانة لعهد، أو نسيان لنذر، أو انخداع بسراب واهم، أو وقوع في حبال الطمع والجشع والأنانية، مما يحيل أن الإنسان هو مصدر المصائب والشرور، الإنسان هو عدو نفسه، أما الطبيعة/ الصحراء فهي الأم الرؤوم التي تحنو، وإن قست فلكي تطهر أبناءها وتعيدَهم إلى الفطرة والنقاء.

5. رموز سرديات الصحراء:

1.5 الرمز الأسطوري:

وظف إبراهيم الكوني في سردياته (قصة أو رواية) الأسطورة ونظريات الأنثروبولوجيا، توظيفا إبداعيا فنيا أثرى أدبه وأكسبه ميزة خاصة به، زادته رمزية وعمقا وكثافة وتفردا، قلَّما نعثر عليها في السرديات العربية، فثقافة الكوني الواسعة، واطلاعه العميق على التاريخ الإنساني، والديني والصوفي والأنثروبولوجي، وحبه الكبير للصحراء وتشبعه بقيمها، وأسرارها وحكاياتها وأساطيرها وطقوسها، مكّنه من امتلاك أدوات فنية وإبداعية وجمالية مميزة ونادرة، تكاد تكون سمة خاصة بإبراهيم الكوني، الذي اتخذ الصحراء موطنا وفضاءً ساحرا لرواياته وقصصه وجل نصوصه، فالصحراء هي البطل الرئيس وهي فضاء الأحداث وهي الحكاية التي لا تنتهي حين يصمت اللسان.

تحضر الأسطورة في معظم أعمال إبراهيم الكوني حضورا فاعلا ومؤثرا، منحتها من خلال هذا التوظيف طاقات فنية هائلة، وأكسبتها طابعا عجائبيا مدهشا، قادرا على مفارقة كل مألوف وواقعي، وهذا بالفعل ما يظهر في قصة **طائر النحس الذهبي** التي عالج فيها الكاتب ملمحا من ملامح الحياة في

الصحراء معالجة أسطورية بديعة، يحكي معاناة أمٍّ تظل تراقب ابنها المأخوذ بالطائر الذهبي العجيب بألوانه وجماله وبريقه الساحر، مسلوب اللُّبِّ والإرادة في براري الصحراء، حذَّرته والدته منه وأخبرته أنه رسول إبليس، يخدع الأطفال ويسرقهم من أمهاتهم، لم تنفع النصائح ولا المراقبة الصارمة، فكان مصير الطفل الموت، يمثل الطائر الذهبي الجميل الوهم والإغراء الذي يسوق الإنسان إلى المتاهة والضياع والموت.

2.5أسطورة الصراع الأول قابيل وهابيل:

تم الحكم على الدرويش بالعقاب الشديد لعدم احترامه مجلس السلطان، ومع اشتداد العذاب أفشى الدرويش سر أمود "السلطان"، فتم قتله لتزداد الأمور تعقيدا لأن الجريمة لم تكن عادية" **الأهالي انشغلوا بحدث أهم من خرق الناموس وأقسى من جريمة قتل الدرويش، إذ نقل عن العجوز تأكيدها أن أمغار هو أخ السلطان أمود من ناحية الأب، وتوقعوا أن تقع اللعنة السماوية لأن التجربة علمتهم أن الرجل إذا أقدم على إهدار دم أخيه فلن يقف في طريقه شيء ورددوا عبارة دموية قيل إنهم نقلوها عن الإمام " وهل يصير الإنسان سلطانا دون أن يضطر إلى قتل أخيه**"[47]، فاتضح أن السلطان أمود أهدر دم أخيه، مثلما قتل قابيل هابيل، حين تعمى البصيرة ويظلم القلب، تغيب الحكمة، وتتدنس المقدسات، والنتيجة حلول اللعنة والعذاب.

3.5أسطورة الطوطم:

بنى إبراهيم الكوني متخيله السردي على سر العلاقة التي تقوم بين إنسان الصحراء والصحراء نفسها بكل موجوداتها، "**حيث يشتغل المنجز السردي على العلاقات القائمة بين الإنسان وما يحيط به في الطبيعة من حيوان وجماد، تآلفا واختلافا**"[48]، وتتجلى أسطورة الطوطم في قصة "القفص" وقصة "نذر البتول" على سبيل المثال، وتعرف الطوطمية بأنها مجموعة من الرموز والطقوس التي تعتقد بها جماعة بشرية، تربطها علاقة روحية خفية عميقة بطوطمها الذي قد يكون حيوانا أو نباتا أو ظاهرة طبيعية، وقد ورد في الشريعة الطوطمية أنه في حال "**تحتم على البدائي بحكم الضرورة أن يقتل الحيوان الملحمي، فعليه أن يستغفر منه، وأن يحاول التخفيف من جرم انتهاك التابو من جريمة القتل بتعاويذ وشعوذات متنوعة**"[49]، وهذا ما حدث لبركة حين قتل الحية والغزال، سلط عليه أهل الخفاء عقابا شديدا لم تنفع معه الطقوس والتعاويذ، وحكم عليه بالمنفى، لأنه خالف شريعة الصحراء.

4.5الرمز الطبيعي:

تزخر ثقافة الطوارق برموز مستمدة من الميثولوجيا والأساطير والتاريخ القديم، مما أضفى على نصوص الكوني السردية عمقا وكثافة، وأكثر الرموز الطبيعية توظيفا في هذه المجموعة القصصية، السيل، الترفاس، الطائر، الشمس، الذهب، القمر.

أ ـ **السيل:** يأتي به المطر رحمة تتنزل من السماء على الأرض، يوحي بالانبعاث بعد موات طويل، إلا أنه قد يأتي غاضبا، لا يهب أهل الصحراء الحياة إلا بعد أن يأخذ في طريقه ما تبقى فيها من حياة.

"تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب".27 آل عمران

ب ـ **الشمس:** تحضر الشمس في نصوص الكوني بصفتها الجلاد الذي يجلد الصحراء بما فيها بسياط من نار في قسوة وشراسة، يقول: **" ويبدأ جلاد الكائنات في الهجوم المضاد."**، **"سرحت الشمس القاسية لتستوي على عرشه الذهبي في قلب الصحراء، وجردت سياط النار لصهر الكائنات."**[50]

يقابلها من حيث المعنى **"القمر"** وهو رمز الشباب الدائم والتجدد والانبعاث والحياة التي لا تتوقف، ويرمز أيضا إلى الإله الأب الذي يمثل الأمان والسكينة والخير، وقد قُرن **"رمزيا بعدد من الحيوانات يأتي في مقدمتها الثور الوحشي والودان، وبسلالة من الزواحف تتصدرها: الأفعى والضب واليربوع والورل والقنفذ والأرنب أي باختصار الحيوانات التي كان العرب يسمونها مراكب الجن."**[51]

ج ـ **الذهب:** طبيعة الطارقي المتقشفة تمنعه من امتلاك الذهب، جالب النحس والشؤم، كل من امتلكه حل به الخراب والموت، الذهب معدن إبليس ووسيلته في الغواية، لونه الأصفر يصيب من يمتلكه بعمى البصيرة، فيوقعه في الهاوية، وهي فلسفة صوفية خاصة ببدو الصحراء، فالطارقي في رحلته نحو الله تتطلب تخففه من أي متاع، فلا يتعلق بالمادة والمغريات الدنيوية، لأنه لا يجتمع شَبَعٌ وَوَجْدٌ في صُوفِي.

6.خاتمة:

ـ تضمنت هذه المجموعة القصصية قيما فكرية وفلسفية وصوفية، تواشجت مع الأسطورة في البحث عن الحرية، والسعي لتحرير الإنسان من كل القيود، باعتبار أن العيش في الصحراء النائية نوع من تطهير الإنسان، عن طريق تعذيب الجسد وصهر الروح، ليصل إلى الصفاء والنقاء الروحي المنشود.

ـ كما تدعو إلى الحفاظ على الصحراء والطبيعة بصورة عامة، باتِّحاد الإنسان مع عناصرها، لذلك استثمر الكوني المذهب الطوطمي، ووظّف موتيفاته ليعبر عن رفضه القاطع للاعتداء الوحشي على الطبيعة الصحراوية، وما فيها من نبات وحيوان وجماد.

ـ توجد إشارة إلى الصراع الأخوي الإنساني، تتمثل في انتهاء علاقة الأخوة بين الإنسان وأخيه الإنسان أو بين الإنسان والحيوان حسب ثقافة المجتمع الطوارقي، ومن خلالها تم استحضار أسطورة قابيل وهابيل.

ـ استدعى الكوني الموروث الثقافي الشفوي ووظّفه في سياق نصوصه في سعي لتجسيد مشروع آمن به، وهو إخراج الصحراء من هامش السّرد، لتحتل المركز لأنها أصل الحضارة الإنسانية، كما اتخذها متنا في مواجهة الهامش المادي.

ـ تتواشج الأسطورة بالعجائبي والغرائبي والصوفي في سرديات الكوني، وهذا شكل من أشكال التحديث والتجريب، فضلا عن أنه تقنية مهمة من تقنيات الكتابة، ومقوم من المقومات الجمالية التي امتلكها الكوني، ووظفها بمهارة عالية ضمَّن من خلالها دلالات عدة كشفت رؤى الكاتب الإبداعية والوجدانية والفكرية، ووجهة نظره للأشياء والأحداث.

ـ جمع الكوني عن طريق المتخيل الجامح الواقعَ مع عوالم أخرى متخيلة ومجهولة، قوانينها شاذة وبعيدة عن نواميس الطبيعة، وبذلك يتهشَّم المنطقي والواقعي، لتبرز العجائبية سردا مضادا يضطلع بمهمة هزيمة الواقع، ومقاومة شروره وتناقضاته.

ـ تعد نصوص الكوني تصويرا لعبقرية الصحراء وأسرارها وتجلياتها الطبيعية المدهشة.

---

[1]ابن منظور، لسان العرب، مادة (خيل)، دار صادر، بيروت، 1968.

[2]الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (خيل)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2006م/1426هـ.

[3]إبراهيم أنس وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (خال)، القاهرة، ط2، 1972م.

[4]جابر أحمد عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 1974م، ص 18-19.

[5]المرجع نفسه، ص20.

[6]محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2000م، ص245.

[7]المرجع نفسه، 245.

[8]محمد بوال، من المخيلة إلى المخيال، دراسة تاريخية المفهوم، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 13 (2011)، غرداية، ص104.

[9]مصطفى الشتار، نظرية المعرفة عند أرسطو، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1987م، ص70-71.

[10]المرجع نفسه، ص104.

[11] محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2000م، ص245.

[12]محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، ص252.

[13] هدى أبو غنيمة، تجليات الصحراء في أعمال منيف والكوني، مجلة عود الند، العدد2017،3، ص02.

[14]جبرا إبراهيم جبرا، البحث عن وليد مسعود، دار الآداب، بيروت، ط1، 1978م.

[15]صلاح صالح، الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ط1، 1996م، ص51.

[16]غسان كنفاني، رجال في الشمس، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط2، 1980م.

[17] إبراهيم نصر الله، براري الحمى، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1985م.

[18]عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1976م.

[19] عوني صبحي الفاعوري، إبراهيم الكوني روائيا، دكتوراه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، 1998م، ص35.
[20] مرسيا إلياد، أوجه الأسطورة، تر: نهاد خياطة، دار كنعان، دمشق،1991، ص52.
[21] إبراهيم الكوني، القفص، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1992، ص11.
[22] المرجع نفسه، ص13.
[23] المرجع نفسه، ص26.
[24] المرجع نفسه، ص26.
[25] المرجع نفسه، ص31.
[26] سعيد الغانمي، ملحمة الحدود القصوى، المخيال الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص60.
[27] إبراهيم الكوني، القفص، ص 146.
[28]المرجع نفسه، ص151.
[29] المرجع نفسه، ص158.
[30] المرجع نفسه، ص159.
[31]نزيه كسيبي، عالم الصحراء وسكانها من إنس وجن في روايات إبراهيم الكوني، منتديات ستارتايمز، http://www.startimes.com/t=28650204
[32]عوني صبحي الفاعوري، إبراهيم الكوني روائيا، الجامعة الأردنية كلية الدراسات العليا، أيار ، 1998، ص127.
[33] المرجع نفسه، ص127.
[34] إبراهيم الكوني، القفص، ص38.
[35] سعيد الغانمي، ص40.
[36] إبراهيم الكوني، وطن الرؤى السماوية(قصص)، الدار الجماهيرية، طرابلس، ط2، 1998، ص70.
[37] المرجع نفسه، ص 70.
[38] المرجع نفسه، ص70.
[39] إبراهيم الكوني، القفص، ص141.
[40] المرجع نفسه، ص143.
[41] المرجع نفسه، ص144.
[42] المرجع نفسه، ص62.
[43] المرجع نفسه، ص64.
[44]المرجع نفسه، ص64.
[45]المرجع نفسه، ص65.
[46] المرجع نفسه، ص33.
[47] المرجع نفسه، ص115.
[48] مرزاقة زياني، تجليات أسطورة الطوطم في رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني، الودان أنموذجا، مجلة مقاليد، العدد12، جوان 2017، ص105.
[49] المرجع نفسه، ص104.
[50] إبراهيم الكوني، القفص، ص33.
[51] سعيد الغانمي، ص47.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم الكوني، القفص، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1992.
2. إبراهيم الكوني، وطن الرؤى السماوية(قصص)، الدار الجماهيرية، طرابلس، ط2، 1998.
3. إبراهيم أنس وآخرون، المعجم الوسيط، مادة (خال)، القاهرة، ط2، 1972م.
4. إبراهيم نصر الله، براري الحمى، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1985م.
5. ابن منظور، لسان العرب، مادة (خيل)، دار صادر، بيروت، 1968.
6. جابر أحمد عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 1974م.
7. جبرا إبراهيم جبرا، البحث عن وليد مسعود، دار الآداب، بيروت، ط1، 1978م.
8. الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (خيل)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2006م/1426هـ.
9. سعيد الغانمي، ملحمة الحدود القصوى، المخيال الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000.
10. صلاح صالح، الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ط1، 1996م.
11. عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 1976م.
12. عوني صبحي الفاعوري، إبراهيم الكوني روائيا، الجامعة الأردنية كلية الدراسات العليا، أيار، 1998.
13. عوني صبحي الفاعوري، إبراهيم الكوني روائيا، دكتوراه، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، الاردن، 1998م.
14. غسان كنفاني، رجال في الشمس، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط2، 1980م.
15. محمد بوال، من المخيلة إلى المخيال، دراسة تاريخية المفهوم، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية، العدد 13 (2011).
16. محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2000م.
17. مرزاقة زياني: تجليات أسطورة الطوطم في رواية نزيف الحجر لإبراهيم الكوني، الودان أنموذجا، مجلة مقاليد، العدد12، جوان 2017.
18. مرسيا إلياد، أوجه الأسطورة، تر: نهاد خياطة، دار كنعان، دمشق، 1991.
19. مصطفى الشتار، نظرية المعرفة عند أرسطو، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1987م.
20. نزيه كسيبي، عالم الصحراء وسكانها من إنس وجن في روايات إبراهيم الكوني، منتديات ستار تايمز، http://www.startimes.com/t=28650204
21. هدى أبو غنيمة، تجليات الصحراء في أعمال منيف والكوني، مجلة عود الند، العدد2017،3.